حرب اكتوبر ١٩٧٣

في قصص محمود البدوى

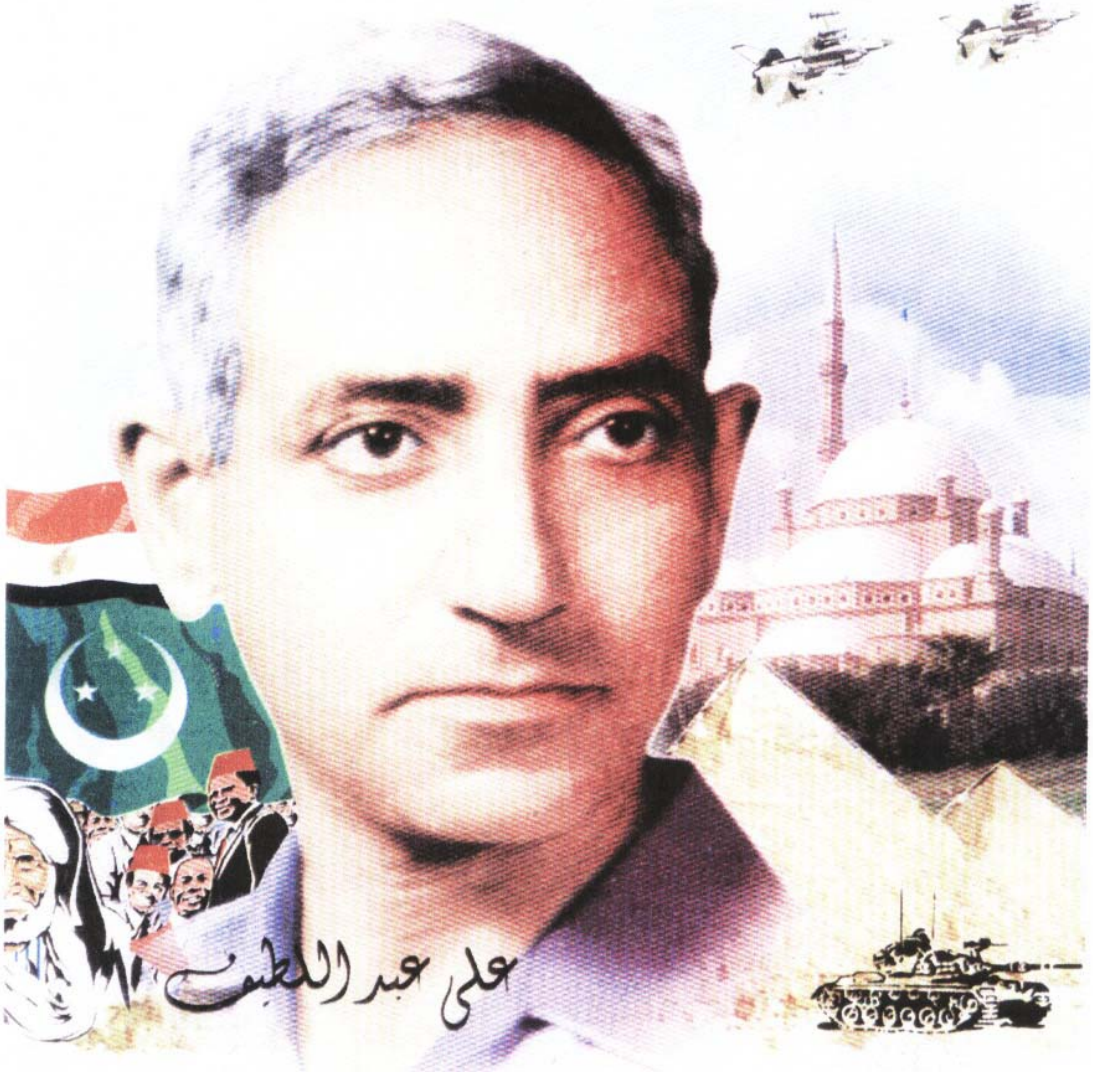

على عبد اللطيف

www.fiseb.com

حرب أكتوبر ١٩٧٣
فى
قصص محمود البدوى

بقلم على عبد اللطيف

يقول البدوى

" هناك أناس فى العالم يصنعون الحروب ويقتلون النساء والأطفال ، إذا واجهناهم بوداعتنا وحمامة السلام التى على وجوهنا سحقونا ، وإذا أرسلنا عليهم الصواعق من السماء وصفونا بالتوحش "

" أتمنى أن أحمل على بساط الريح ، وانطلق وأدمر كل المصانع التى تصنع الخراب والدمار للبشر .. القنبلة الذرية .. وقنبلة الكوبالت .. والهيدروجين وكل ما يجىء بعدها .. وكل ما يحطم الحضارة ويشل عقل الإنسان .. وكل ما يشوه الجمال والسكون ويمنع الحقيقة من أن تنطلق من الأفواه .. وكل ما يقتل روح البشر"

******

كتب محمود البدوى ست قصص ذكر فيها القليل من أحداث الحرب " عدا اثنتين الحدث فيهما كثير وهما قصتى " الحارس والرسالة " أما القصص الأخرى فلا يتعد الخبر فيها بضعة أسطر وهو فى معرض الحديث عن الشخصية أثناء القاء الضوء على ماضيها وهو يعرضها بخيرها وشرها كما هى موجودة فى الحياة ، ليستطيع القارىء متابعة نمو الشخصية أثناء الأحداث ، ويرد كل ما يجيش فى صدرها وعقلها من عواطف وخواطر وانفعالات إلى أسبابه وبواعثه الحقيقية ، وكأن البدوى يريد أن يقول " إن مستقبل الإنسان مرتبط بتصرفاته وأفعاله وأعماله فى الماضى ، وهى التى تحدد شخصيته فى المستقبل .

ومن خلال أحداث تلك القصص أستطيع أن أحكى وقائعها

حرب اكتوبر ١٩٧٣

أثرت هزيمة حرب ١٩٦٧ فى الشعب ، وكان يفكر دوما فى الحرب وما الذى يستطيع عمله لإرضاء الوطنية المشتعلة فى النفوس . وكانت إسرائيل ككل عادتهم فى الحروب ، حركهم جبنهم إلى ضرب مدرسة بحر البقر وما تحت مرماهم فى الإسماعيلية والسويس ، ليثيروا الشعب ضد حكامه ..

وهل شهر رمضان بنوره الكريم على الأمة الإسلامية ،

وكنا فى الخريف ، ولم تشتد بعد وطأة الحر على الصائمين ، وبعد صلاة الظهر بقليل ، والناس لايزالون فى المساجد ، أذاع الراديو أن الجيش المصرى عبر خط بارليف ، ورفع العلم المصرى على شرق القناة ، وانتفض الناس من الفرحة وهللوا وكبروا فى المساجد والشوارع والبيوت وفى كل مكان ، ولم يكن أكثر الناس تفاؤلا يقدر الانتصار بعد الهزيمة .

وتطوعت النساء فى الهلال الأحمر وفى الجمعيات النسائية ليعملن فى المستشفيات ، وسار العمل فى البلاد بصورة طبيعية فى النهار ، وفى الليل يحس الأهالى بجو الحرب ، من الإظلام فى الشوارع والبيوت وخاصة سكان البيوت المجاورة للصحراء .

وكان الغريب الذى لايعرف طباع الشعب المصرى ، يتوقع الانهيار التام ، فالشعب المصرى يتحرك فى المحن بقلب واحد وعزيمة صلبة وينسى متاعبه ليحقق هدفه ، فكل شىء يقبل إلا الهوان ..

فالحرب مع اسرائيل لا تشيع فى قلوبنا الخوف ولو امتدت مائة عام ، وانما الخوف جاء من الداخل ، ولم يأت من الخارج قط ، وعندما ذهب شبح الخوف ، عادت إلينا القوة ، وعبرنا القناة وانتصرنا .

لقد انتصرنا بالجندى الأصيل ، وبالشجاعة الضاربة فى الجذور عبر اعماق التاريخ ، وبالإنضباط الدقيق ، والنظام الصارم .

إن الرجال فى العالم كله لا يرغبون فى القتال ولا يؤمنون بالحرب أبدا ، ولايمكن أن يفكروا فيها ، والسلام سيحمل فى طياته السعادة للبشرية والرخاء والأمان والحرية التى يتطلبها كل إنسان .

ويتمنى الراوى فى قصة "حوار فى الطريق" أن يحمل على بساط الريح ، وينطلق ليدمر كل المصانع التى تصنع الدمار والخراب للبشر .. القنبلة الذرية .. وقنبلة الكوبالت والهيدروجين وكل ما يجىء بعدها .. وكل ما يحطم الحضارة ويشل عقل الإنسان .. وكل مايشوه الجمال والسكون ويمنع الحقيقة من أن تنطلق من الأفواه .. وكل ما يقتل روح البشر .

فلقد تعذبت البشرية من الطغاة الذين دمروا نفس الإنسان ، منذ عصر نيرون ، وهم يحاولون تدمير البشرية وتلطيخ وجهها فى الطين ، والقوا القنابل الذرية والقنابل السامة على الشعوب الآمنة ، وعذبوا الأبرياء فى السجون وهتكوا أعراض النساء ، وسحقوا بجيوشهم ودباباتهم الأطفال الرضع ، وسمموا دم البشرية بحيلهم وخداعهم ، وعلقوا رجالها الأفذاذ فى المشانق ليخلوا لهم الجو لتدمير الحياة ." قصة الإنسان " .

******

وبعد الحروب الدامية فى سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ ، حروب ذرعت الحقد والخوف

فى النفوس .. وذهب فيها آلاف الشهداء ، وضربت فيها المدن ودمرت .. فكر الرجل العظيم رئيس مصر السادات ، فى أن ينهى هذا كله مواجهة .. ودون لف أو دوران ، وذهب إلى القدس .. يحمل حمامة السلام وراية السلام البيضاء .. واستجابت له النفوس واهتزت من الفرحة القلوب .

فما جدوى القتل وما جدوى التدمير ، وما الذى يستفيده الناس من الحروب ، الغالب والمغلوب فى خسارة .

وسأقوم باستعراض قصتى " الرسالة " و " الحارس " لأبين الهدف والمقصود من وراء كل كلمة ، وكل جملة ، وما وراء السطور .

==========

الرسالة

قصة : محمود البدوى

فى ليلة من ليالى أكتوبر استدعى الملازم " كمال " الضابط فى الجيش من بيته فى ضاحية مصر الجديدة .

وبعد أيام قليلة اشتعلت نيران الحرب بيننا وبين اسرائيل ، فعرفت زوجته لماذا استدعى زوجها فى الليل .

وفى غمرة الحرب والعبور والانتصار ، نسيت سهير

نفسها ، ونسيت زوجها .. وأصبح الفرد لا وجود له فى نظرها بعد أن تحرك المجموع .

نسيت فى هزة الانتصار زوجها كضابط .. ورأته فى رمال سيناء ، قدمين صغيرتين تتحركان وسط الوف الأقدام القوية نحو هدف عظيم .

وسط دخان المعركة ودوى القنابل والصواريخ وأزيز الرصاص .. أصبح زوجها بكل صفاته الخلقية وشجاعته .. ترسا صغيرا فى آلة كبيرة تتحرك فى عنف وضراوة .. فلم يعد له صوت مع صوت الآلة وضجيجها .. وإن كان له وجود حتمى .

وكانت تسكن فى شقة صغيرة من عمارة كبيرة بتلك الضاحية ، وفى نهاية خطوط " المترو " .. حيث السكون المطلق ورمال الصحراء .. التى تذكرها دوما برمال سيناء ، التى يحارب فيها زوجها .. وتقيم معها " شغالة " فوق العشرين تؤنسها فى وحدتها ، وتعاونها فى عمل البيت .. وان كانت سهير فى الواقع تقوم بعمل البيت كله حسب ما تعودت فى بيت أبيها قبل أن تتزوج .

ولهذا اعتادت أن تخرج فى الصباح ومعها الشغالة .. وتركب " المترو " محطة ومحطتين .. لتذهب إلى السوق بنفسها ، وتشترى ما يلزم للطعام اليومى .. ولم تنقص الكمية إلا قليلا .. لأنها كانت تتوقع عودة زوجها فى كل ساعة .

ولم تكن وهى خارج البيت فى النهار ترى الاحساس بالحرب فى وجوه الناس ، وكان ذلك يغيظها أولا ولكن بعد التفكير أدركت السبب .. فالحرب بعيدة عنهم .. ومن أبرز صفات الناس فى القاهرة الهدوء ومزاولة عملهم اليومى بصورة عادية ، فهم يملكون زمام أعصابهم .. وتظهر شجاعتهم بأروع صورها فى ساعة الاختبار .

أما فى الليل فكانت سهير تحس بالحرب كأنها قريبة جدا .. من الاظلام التام لمصابيح الشوارع .. وقيود الاضاءة فى البيوت .

وكان الظلام يطبق برواقه على هذه المنطقة الصحراوية القليلة السكان بعد الغروب مباشرة .. ويخيم السكون التام والوحشة الرهيبة .

ولذلك ندر أن تخرج " سهير " فى الليل أو تنزل إلى الشارع .. وقد أوجد الظلام الفة قوية بين سكان العمارة .. لم تظهر بمثل هذه الصورة من قبل قط .

وتطوعت السيدات فى الهلال الأحمر وفى الجمعيات النسائية .. ليعملن فى المستشفيات ، ويقمن بإرسال الهدايا والرسائل إلى الجنود فى الجبهة . وكانت سهير وهى فى بيتها تشاركهن هذا العمل بفرح ونشاط .

وأحست بان كل من حولها قد تحول بمشاعره إلى مكان هناك فى سيناء .. وفى هذا المكان تتجمع كل الرغبات والجهود وتتبلور .

وفى مساء يوم توقف القتال .. وأخذ بعض المقاتلين يعودون من الجبهة فى أجازة قصيرة .

وكانت " سهير " تتوقع عودة زوجها كما عاد هؤلاء .. فلما لم يحدث هذا .. بدأت تقلق وتنتابها الهواجس .

وكانت تقرأ السؤال عنه فى عيون جيرانها وصديقاتها .. دون أن يسألوها بألسنتهم .. شفقة بها وعطفا عليها .

وعندما تقرأ خواطرهم وما فى أذهانهم من أفكار .. يشحب لونها .. وتتندى عيناها بالدموع .

ثم بلغ القلق مداه عندما أخذ أهلها يسألون عنه صراحة فى التليفون وفى زيارتهم لها .. وفى كل يوم يكون السؤال الذى يمزق أعصابها .. فاضطرت بعد التفكير أن تكذب وتقول لهم بأنها تلقت منه رسالة حدثها فيها عن عمله البطولى فى الحرب .. وكيف كانت فرقته أول فرقة فى الجيش عبرت القناة ورفعت العلم .. وسرى الخبر فى الحى الصغير الذى تعيش فيه . . وأحست بأن الناس ينظرون اليها فى إكبار .. وكل واحد منهم يتمنى أن تكلفه بخدمة .. كانت السعادة تغمرهم إذا ساعدوها فى أبسط الأشياء .

وكانت فيما مضى من الأيام تسخر من الناس البسطاء الذين تسمعهم فى الإذاعة يبعثون بسلامهم إلى أقربائهم البعيدين عنهم .

فأصبحت الآن تتوق لأن تفعل مثلهم .. تتلهف الآن لأن تبعث السلام والتحية إلى زوجها .. البعيد عنها .. وتعطى روحها لمن يسمعها صوته فى الراديو .. صوته من بعيد وهو فى قلب سيناء .

أما من يحمل اليها رسالة منه فإنها تعطيه كل ما عندها .. كانت الرسالة تستغرق كيانها وبؤرة شعورها وأصبحت تحلم بها .

وكانت تجلس فى الصالة مدة طويلة وحدها .. وتدع الشغالة تنام .. لأن الصالة قريبة من الباب الخارجى الذى تجىء منه الرسالة .. وإذا قرع الجرس .. جرت متلهفة إلى الباب .. فإذا وجدته صبى المكوجى أو بائع اللبن .. تخشبت على الباب وأصيبت بخيبة أمل .. وقد تسب الطارق .
ولكنها تنتظر ..

أصبح التفكير فى شىء واحد .. الرسالة .. التى يحملها رسول .. أو تجدها تحت عقب الباب .. هى شاغلها الوحيد فى الحياة .

كانت تفتح الراديو .. وتسمع الأخبار .. والأناشيد الوطنية والموسيقى وكانت تقرأ ما تحب من الكتب .

وكان بعض من جاراتها يزرنها فى النهار والليل كلما وجدن الفراغ .. ولكنها كانت تفضل أن تقضى وقتها بمفردها .. وكانت هذه العزلة هى أحب الأشياء إلى نفسها ، لأنها تجعلها تفكر فيه وحده ، وتحصر نفسها فى عمله هناك ..

وتتصوره وهو فى الخندق .. أو فى العراء .. مقاتلا أو مستريحا .. يفكر فيها .. كما تفكر فيه ..

انقضى على زواجهما ثلاث سنوات فقط ولكنها فى عمر ما توثق بينهما من روابط اللحم والدم .. أكثر من ثلاثين سنة .

وكانت تتوق لأن تنجب منه .. ما دامت بعد أن تزوجت قد رضيت بأن تترك الجامعة وتتفرغ لعمل البيت ، بيد أن الولد لم يأت بعد .. وقد يأتى غدا .. ولكنها كانت تتوق إلى وجوده فى أحشائها فى هذه اللحظة لتشعر وهو بعيد عنها بأن قطعة منه فى أعماقها .. تتحرك وتنمو .. وتنتظره كما تنتظر هى ..

وكان يثيرها ، ويهز مشاعرها ، ويلهب نار الشوق إلى زوجها .. ما تراه فى الشارع من الجنود العائدين من الميدان فى أجازات قصيرة .

فإذا رجعت إلى البيت ، جلست صامتة غارقة فى أفكارها .. وكلما مرت الأيام ازداد قلقها العصبى واشتد .

وكانت تمر عليها ساعات تقف فيها وراء باب الشقة وهى ترتجف حابسة صوت أنفاسها .. منتظرة الرسالة وهى تسقط من تحت الباب .

وأصبح ما تعانيه من توتر فى أعصابها .. أشبه بالمرض .

ذات ليلة من الليالى الأخيرة من رمضان .. نامت دون سحور .. لأنها كانت تشعر بتعب شديد .

ورأت زوجها فى الحلم يخوض معركة ضارية .. وكان فى مقدمة الصفوف مع المشاة .. تقدموا واخترقوا طوابير العدو .. مهللين منتصرين .. وانقلب الجو كله إلى نيران تتأجج ودخان وقصف .

وفى غمار المعركة .. أصيب جندى مصرى .. وأحس به زوجها .. فرجع إليه يحمله وحده .. والرصاص حوله يتساقط .. حمله ومشى به حتى وضعه فى عربة الميدان الطبية .. وفى أثناء هذه الحركة أصيب زوجها برصاصة وسقط .

واستيقظت من نومها مذعورة ..

كانت تعرف طباع زوجها ، وهو يفعل مثل هذا وأكثر منه .. ولذلك اشتد بها القلق .. وزاد الحلم بكل ما فيه من بشاعة من أحزانها وتعاستها .. وبكت .. وتعجبت كيف تطاوع نفسها وتبكى من حلم .

ولماذا تمزقت أعصابها هكذا .

ونظرت من النافذة فوجدت الشمس ساطعة .. فأدركت أنها تأخرت فى النوم إلى الضحى .. ونامت كثيرا مع أن مدة الحلم لم تستغرق أكثر من خمس دقائق .. وعكس الحلم

سوء المزاج على نفسها .. وشهيتها للطعام حتى فى أيام العيد .

وفى اليوم الثالث للعيد .. جاء والدها من " اتليدم " فى قطار الظهر .. سمعت صوته بعد أن فتحت له " الشغالة " الباب فأصلحت من شأنها وجرت إليه فقبلت يده ، وجلست بجانبه تسأله عن والدتها وأخواتها فى البلد .. ولاحظ ما على وجهها من شحوب ، فعرف سببه ولم يحدثها عن شىء يثير فيها القلق .. لم يسألها عن زوجها .. كما لم يحدثها عن ابنه " مختار " وهو أخوها الذى يقاتل مع زوجها فى الجبهة .. لم يحدثها عنهما وإن كانت على يقين من أنه جاء إلى القاهرة ليتسمع أخبارهما ..

ولكنه رجل ويملك زمام أعصابه .. ويستقبل الحرب وكل ما يجرى فيها كأمر عادى حتى وإن كان فيها أعز أبنائه .. أنها تعرف صفات والدها وشجاعته كرجل فى كل الأحوال والظروف .

ولو استشهد ابنه " مختار " سيقول كما قالت الخنساء من قبل " الحمد لله الذى شرفنى بقتله " .

كانت تعرف طباع والدها .. وقد جعلها وجوده فى البيت تفكر فى أخيها " مختار " الذى لم تفكر فيه كما فكرت فى زوجها " كمال " ولم تشتق إليه كما اشتاقت إلى زوجها .. وخجلت من نفسها .

كما خجلت من كل الأشياء التى جاء بها والدها من

البلد .

وقالت برقة :

ـ ما هذا كله .. يا والدى ..؟ كل مرة تتعب نفسك ..؟ انها زوادة سنة ..

ـ يا بنتى سيأتى " كمال " بعد أيام قليلة .. فأكليه من هذه الديوك .. فى الطقات الثلاث .. !

وضحكت من كلام والدها .. واستراحت لاستبشاره ومرحه .. وتغدى معها .. وصلى العصر .. ثم خرج إلى المدينة لبعض شأنه ورجع فى الليل فتعشى ونام .. وفى الصباح سافر فى أول قطار .

وأحست " سهير " بعد أن غادر والدها البيت .. بهزة الفراق .. ولكن وجوده كان قد أعاد السكينة إلى نفسها ، وهدوءه واستبشاره عكسا عليها الهدوء والاستبشار اللذين ترجوهما لروحها القلقة .

وسمعت وهى جالسة فى الشرفة تتطلع إلى رمال الصحراء .. والسكون يخيم على المنطقة صوت الشيخ " رفعت " من مسجل فى الشقة المجاورة ، كان يتلو سورة " الرحمن " وتنبهت "سهير" وأنصتت مأخوذة .. لقد سمعت الشيخ " رفعت " كثيرا من قبل .. ولكنها لم تسمعه بمثل هذا الصوت الحنون .. أهى حالة نفسية ..؟ وتندت عيناها بالدموع .. أى صوت ؟ إنه كروان يغنى فى الجنة .

ظلت جالسة فى مكانها ساكنة خاشعة .. حتى انتهت التلاوة وانقطع الصوت . وأحست بالحيوية والانتعاش .. وتبدلت تبدلا تاما .. ودخل قلبها الإيمان بالحياة . . وأعدت مائدة الغداء بعناية فائقة .. أعدت طبق زوجها .. ووضعت أدوات المائدة الخاصة به .

وجلست تأكل وكأنه أمامها .. يحدثها حديثه المألوف .. وبعد ساعة دخلت الحمام .. وخرجت معطرة ، محلولة الشعر ، بادية النضارة .. وجلست فى غرفتها أمام المرآة تتزين وتمشط شعرها . ثم انتقت أجمل ثيابها .. ثوبا مخمليا يبرز تقاطيع جسدها وكل ما فيه من فتنة .. وجلست على حافة السرير ، ترتدى جوربا من النيلون فى لون بشرتها .. ومدت قدمها الصغيرة وساقها الجميلة .. وبدت الساق عارية وملتفة وفى لون اللبن الممزوج بالعسل المصفى .. وغطت هذه النعومة حتى الفخذ بجورب ثم تناولت الثانى .. وعندما دق جرس الباب توقفت تتسمع وأصابعها ضاغطة على الفخذ الدافىء .. ثم واصلت رفع الجورب بعد أن أدركت أن الصوت لايعنيها وأن الشغالة تحادث الجارة .

ثم لبست حذاءها ووقفت أمام المرآة .. وكانت النافذة مفتوحة على نهار جميل .. فحركت أنفاس الهواء شعرها .. ونضرت وجهها ، وأجرت الدم فى شفتيها .. والبريق فى عينيها .. ورأت الثوب المخملى قد حدد خطوط جسمها .. الوركين .. والخصر .. وبروز الصدر .

وتنفست الصعداء .. وجلست فى الشرفة تتطلع إلى

الطريق .

وفى الليل كانت جالسة فى الصالة نائمة وعلى خديها الدموع ، بعد أن برحها الانتظار الطويل .. وصحت على حركته وهو يفتح الباب .. وجرت إليه وتعلقت بعنقه وارتمت على صدره وضغطت ، وأعدت مائدة العشاء ..

وجلسا يتعشيان .. وكانت تلاحظه بعينيها وتقيسه طولا وعرضا .. وتفكر .. ولما فرغا من الطعام .. قدمت له فنجان القهوة وهى تحدق فى وجهه .. فسألها :

ـ مالك .. لماذا تنظرين الىّ هكذا .. ؟ !

ـ تبدو لى .. كأنك لم تحارب .. ليس فى جسمك خدش واحد .. !

ـ لقد كانت فرقتى .. أول فرقة عبرت القناة ورفعت العلم ..

وقالت سهير لنفسها أن هذا هو ما قلته للناس فعلا ..

وردت عليه :

ـ لايبدو عليك هذا .. !

ـ لماذا .. ؟

ـ ليس فى جسمك جرح واحد .. جرح صغير .. !!

وبدت غير منشرحة .. وعلا وجهها الامتعاض ..

ـ أكنت تودين أن أعود جريحا أو ماشيا على عكاز .. ؟ !

وأغمضت عينيها ، واقتربت منه ، ولامست بخدها خده .. انها حمقاء .. كانت توده جريحا .. أما أن يعود إليها كما

هو .. دون حتى الخدش البسيط .

فهو لم يحارب كما كانت ترغب .. ! وتتمنى .. أين بسالته .. وأين شجاعته .. ؟ هل انتقم لأطفال مدرسة بحر البقر .. وعمال أبى زعبل وسكان السويس .. والإسماعيلية وبور سعيد .. الآمنين .. ؟ هل انتقم لهؤلاء .. ؟

وبعد نصف الليل كانت بجواره على السرير .. فى قميص النوم .. نصف يقظة .. وكان هو قد استغرق فى النعاس وانكشف عنه الغطاء .. فأخذت تضمه عليه ، ولامست يدها شيئا غريبا تحت " الفانلة " ورفعت الفانلة وكشفته .. فتبينت جرحا بليغا فى الكتف قد تغطى بالضمادات .. وربط باحكام . وضمته إليها فى عنف .. وجنون .. وهى تضحك حتى استيقظ على قبلاتها وضحكاتها ..

==========

نشرت القصة بمجلة الثقافة عدد يناير ١٩٧٤ وأعيد نشرها فى مجموعة عودة الابن الضال لمحمود البدوى عام ١٩٩٣

==========

قبل أن أبدأ وأخوض فى تحليل هذه القصة ، وأبين نظرة البدوى الفلسفية ، أقول أنه أراد أن يصب رأيه فيما يشغله من القضايا التى تستحوذ على فكره وتفكيره فى أعمال فنية ، فالقضايا الاجتماعية التى تشغل باله تتعلق بالأسرة والزوجة والعلاقة بينها وبين زوجها وقضاياها المضطربة على الأرض ، **ومن ثم** أستعين بالحوار الذى أجراه معه الناقد علاء الدين وحيد والمنشور فى مجلة "أسرتى" فى ٣١ يناير ١٩٨١ (مأخوذ من الكتاب المعنون باسم "محمود البدوى" للناقد علاء الدين وحيد..دار سنابل للنشر والتوزيع ٢٠٠٠) .

يقول البدوى :

المرأة العربية كانت كلها طاعة وامتثال عن اقتناع وحب للرجل ، أما الآن فهى تنحو نحو التمرد على سلطة الرجل ، وفى بعضهن نشاذ إلى درجة عدم الطاعة التى تتولد عن حرية مزعومة أو تتجاوز الحد . وإن ما يعيبها عامة فى الغالب هو أنها لاتراع ظروف عمل الزوج ، والكثيرات منهن يمثلن عبئا على رجالهن فى أزماتهم . فالواحدة منهن لاتعايش أو تتعاطف مع ما يمر به الزوج من أحداث ولا تهون عليه أمرها ، بل تزيده تعبا وإرهاقا وشقاء ، بسبب جهلها النفسى ، فهى غالبا مهما تكن متعلمة ، ضيقة الأفق ، تشغل زوجها بأمور البيت .

وتربية الوالدين للأبناء هى الأصل ، بالإشراف الحقيقى للأب والأم ، فاعتناق المثل والتعود على الصدق والأمانة وحب الخير تنبع أولا من البيت .

وعلمته مربيته التى تولته بعد وفاة والدته وكان فى السابعة من عمره ، علمته أن الاهتمام أو الحب لاينبع من داخل الأسرة فحسب ، بل يمكن أن يأتى من الخارج .

وتكالب المجتمع على المادة واختفاء العنصر الأخلاقى وانمحاء الإيمان بالقيم والبعد عن الدين هى المسئولة عن التفكك الأسرى ، وبجعل الشباب فارغا من داخله بعد أن اختفت المثل من أمانيه .

هذا من ناحية القضايا الاجتماعية ، أما تلاوة الشيخ محمد رفعت "قيثارة السماء" للقرآن (ذكريات مطوية .. مجلة الثقافةالعدد ٧٤ نوفمبر ١٩٧٩) فقد أوجد عنده الرغبة الشديدة لسماع القرآن ، أوجدها منذ كان يسمع صوته الخاشع فى مسجد "القاضى" وهو فى ريعان الصبا .. وظلت هذه الرغبة متأصلة فى أعماق نفسه .

وعندما يسمع الشيخ رفعت وهو يرتل سورة الرحمن .. يعرف أن الله موجود وهو الخالق والقادر سبحانه .

وقد اختار البدوى فى هذه القصة شخصية الزوجة من الصعيد ومن قرية "إتليدم" وهى القرية التى نبتت ونشأت وتربت فيها والدته قبل أن تتزوج وكان والدها عمدة القرية ، وكانت هذه القرية قديما آخر حدود مديرية أسيوط ، أما الآن فهى تتبع محافظة المنيا . "كتاب سيرة محمود البدوى .. على عبد اللطيف و ليلى محمود البدوى .. مكتبة مصر٢٠٠٢".

ويقول فى قصة الأعمى "نشرت بمجلة صوت الإسلام ٢٥|٨|١٩٣٥ وبمجلة الرسالة فى العددين ١٥٦و١٥٧ فى٢٩|٦و٦|٧|١٩٣٦ وأعيد نشرها بمجموعة "الذئاب

الجائعة" عام١٩٤٤ .. يقول :

"فتاة الريف لاتزال بخلقها البكر ، ولا يزال ضميرها حيا ، لم تخدره بهارج المدينة الكاذبة ، إنها لاتزال ترى الأشياء على حقيقتها ، لا تزال بطبعها البكر ، طاهرة نقية ، قوية الإيمان عفيفة الإزار .. تستهول الجريمة الجنسية ، وتستفظع الخيانة الزوجية ، وترجف حتى من مجرد التفكير فيها ، هكذا شعورها بفطرته ، تعرف من غير معلم ولا مدرسة أنها خلقت لرجل واحد ليس إلا ، رجل واحد يأخذ منها قلبها وجسمها ويستغرق تفكيرها ووجودها ، وتدفعها فطرتها على أن تكون له أبدا".

***

الرؤية الفلسفية:

لاشيء يمكن أن يقوم وينهض به الفرد وحده ، لأنه وحدة واحدة في عالم كبير ، ولا يوجد أحد قائم بذاته كالجزيرة ، فالإنسان يعيش بغيره ، جزء من كل يتحرك :

"نسيت سهير نفسها ، ونسيت زوجها .. وأصبح الفرد لا وجود له في نظرها بعد أن تحرك المجموع ..... أصبح زوجها بكل صفاته الخلقية وشجاعته .. ترسا صغيرا في آلة كبيرة تتحرك في عنف وضراوة .. فلم يعد له صوت مع صوت الآلة وضجيجها .. وإن كان له وجود حتمي".

يتحرك الجميع في المحن ، ويفكر كل منهم في

الاشتراك فى المعركة بعمل إيجابى ، شيئا ذا قيمة يساهم به ويشعر معه بالزهو والانتصار :

" وتطوعت السيدات فى الهلال الأحمر وفى الجمعيات النسائية .. ليعملن فى المستشفيات ، ويقمن بإرسال الهدايا والرسائل إلى الجنود فى الجبهة . وكانت سهير وهى فى بيتها تشاركهن هذا العمل بفرح".

أشياء تحدث فى الحياة لايمكن تفسيرها ، فالعلم والحضارة وكل عبقريات البشرية وكل طاقاتها وكل إمكانياتها لايستطيع تفسيرها ، لأنها فوق عقل البشر ، شىء من النبع الإلهى :

"بلغ القلق مداه عندما أخذ أهلها يسألون عنه صراحة فى التليفون وفى زيارتهم لها .. وفى كل يوم يكون السؤال الذى يمزق أعصابها .. فاضطرت بعد التفكير أن تكذب وتقول لهم بأنها تلقت منه رسالة حدثها فيها عن عمله البطولى فى الحرب .. وكيف كانت فرقته أول فرقة فى الجيش عبرت القناة ورفعت العلم .. وسرى الخبر فى الحى الصغير الذى تعيش فيه".

ثم يورد الراوى الحوار الذى دار بين الزوج بعد عودته من الحرب وزوجته .. فيقول :

"وجلسا يتعشيان .. وكانت تلاحظه بعينيها وتقيسه طولا وعرضا .. وتفكر .. ولما فرغا من الطعام .. قدمت له فنجان القهوة وهى تحدق فى وجهه .. فسألها :
مالك .. لماذا تنظرين الي هكذا .. ؟

تبدو لى ..كأنك لم تحارب .. ليس فى جسمك خدش واحد ..
لقد كانت فرقتى .. أول فرقة عبرت القناة ورفعت العلم ..

وقالت سهير لنفسها أن هذا هو ما قلته للناس فعلا .."

غيرت الحرب نفوس الناس وأظهرت معدنهم النفيس وهم يتنافسون لمساعدة امرأة وحيدة ، ذهب زوجها إلى ميدان القتال :

"أحست بأن الناس ينظرون اليها فى إكبار .. وكل واحد منهم يتمنى أن تكلفه بخدمة ..كانت السعادة تغمرهم إذا ساعدوها فى أبسط الأشياء ".

الإنسان فى حاجة إلى الوحدة ليطلق العنان لأفكاره وعواطفه وأمانيه وأحلامه وما يصوره له الخيال بعد أن تمزقت أعصابه ، وأن فى وجود آخرين معه يصيبه بالضجر :

"وكان بعض من جاراتها يزرنها فى النهار والليل كلما وجدن الفراغ .. ولكنها كانت تفضل أن تقضى وقتها بمفردها .. وكانت هذه العزلة هى أحب الأشياء إلى نفسها ، لأنها تجعلها تفكر فيه وحده ، وتحصر نفسها فى عمله هناك .. وتتصوره وهو فى الخندق .. أو فى العراء .. مقاتلا أو مستريحا .. يفكر فيها ..كما تفكر فيه .."

الزوجة العاقلة تحس فى بيتها بأنها تعيش

لغاية وأمل ، فهى تنمى شجرة الحياة وتحملها بالثمر ، لا أن تعمل بسلبيتها على جفافها وموتها ، ليأتى الولد وترى فيه صورة زوجها إمتداد له وحياة ، ويكربها ويحزنها عدم تحقق الأمل بوجود قطعة منها :

"وكانت تتوق لأن تنجب منه .. ما دامت بعد أن تزوجت قد رضيت بأن تترك الجامعة وتتفرغ لعمل البيت ، بيد أن الولد لم يأت بعد .. وقد يأتى غدا .. ولكنها كانت تتوق إلى وجوده فى أحشائها فى هذه اللحظة لتشعر وهو بعيد عنها بأن قطعة منه فى أعماقها .. تتحرك وتنمو .. وتنتظره كما تنتظر هى .."

حينما ينشغل الإنسان ويفكر فى شىء معين يشغل به ، يستيقظ فى الليل على أحلام ذهبية أو أحلام مروعة ، ولكن هناك عالم آخر ، عالم يعلو عن فهمنا وإدراكنا وأسراره لاتحيط به عقولنا ولا ندرك منه شيئا :

"ورأت زوجها فى الحلم يخوض معركة ضارية .. وكان فى مقدمة الصفوف مع المشاة .. تقدموا واخترقوا طوابير العدو .. مهللين منتصرين .. وانقلب الجو كله إلى نيران تتأجج ودخان وقصف .

وفى غمار المعركة .. أصيب جندى مصرى .. وأحس به زوجها .. فرجع إليه يحمله وحده .. والرصاص حوله يتساقط ..حمله ومشى به حتى وضعه فى عربة الميدان الطبية .. وفى أثناء هذه الحركة أصيب زوجها برصاصة وسقط . واستيقظت

من نومها مذعورة ..

كانت تعرف طباع زوجها ، وهو يفعل مثل هذا وأكثر منه .. ولذلك اشتد بها القلق .. وزاد الحلم بكل ما فيه من بشاعة من أحزانها وتعاستها .. وبكت".

يعيش الأب ليعطى السعادة لأولاده ، ويبذل كل ما فى وسعه من مال وجهد لإسعادهم ، ونتيجة للإشراف الحقيقى للوالدين فى تربية الأبناء واعتناق المثل ، تكون الثمرة التى نبتت فى بيت طيب طيبة :

"وفى اليوم الثالث للعيد .. جاء والدها من "اتليدم" فى قطار الظهر .. سمعت صوته بعد أن فتحت له "الشغالة" الباب فأصلحت من شأنها وجرت إليه فقبلت يده ، وجلست بجانبه تسأله عن والدتها وأخواتها فى البلد .."

فى أيام المحن والإحساس بالألم والمرارة يلجأ الناس إلى الله ، ويستمعون إلى تلاوة القرآن ، ويذهبون إلى المساجد ، وتزداد النفس صفاء وشفافية ، وينزاح الهم عنهم ، وفى أيام راحتهم ورغدهم ينشغلون بما يجرى على الأرض :

"وسمعت وهى جالسة فى الشرفة - تتطلع إلى رمال الصحراء والسكون يخيم على المنطقة - صوت الشيخ "رفعت" من مسجل فى الشقة المجاورة ،كان يتلو سورة "الرحمن"

وتنبهت "سهير" وأنصتت مأخوذة .. لقد سمعت الشيخ "رفعت" كثيرا من قبل .. ولكنها لم تسمعه بمثل هذا الصوت الحنون .. أهى حالة نفسية ..؟ وتندت عيناها بالدموع .. أى صوت ؟ إنه كروان يغنى فى الجنة .

ظلت جالسة فى مكانها ساكنة خاشعة .. حتى انتهت التلاوة وانقطع الصوت . وأحست بالحيوية والانتعاش .. وتبدلت تبدلا تاما .. ودخل قلبها الإيمان بالحياة ".

النساء زينة الحياة ، وكل شىء ينسى معهن ، والمرأة المدركة الإدراك الصحيح للحياة ، تحاول بكل وسيلة أن تجعل بيتها المكان المريح الذى يضم الزوج ، بإدخال السرور على قلبه لينس ما كابده من شقاء وتعب ، فهو عند عودته ويراها فى أبدع زينة وآنق ملبس ، يحس براحة لذيذة ، ويشعر بأنه شغل تفكيرها واحتل شعورها ، وأن جذوره متأصلة فيها ، فتجعله أكثر إقبالا على الحياة :

"وأعدت مائدة الغداء بعناية فائقة .. أعدت طبق زوجها .. ووضعت أدوات المائدة الخاصة به . وجلست تأكل وكأنه أمامها .. يحدثها حديثه المألوف .. وبعد ساعة دخلت الحمام .. وخرجت معطرة ، محلولة الشعر ، بادية النضارة .. وجلست فى غرفتها أمام المرآة تتزين وتمشط شعرها . ثم انتقت أجمل ثيابها .. ثوبا مخمليا يبرز تقاطيع جسدها وكل ما فيه من فتنة ..... ثم لبست حذاءها ووقفت أمام المرآة ..... ورأت الثوب المخملى قد حدد خطوط جسمها .. الوركين .. والخصر .. وبروز الصدر ."

تشعر المرأة بإحساس باطنى لاتعرف مصدره ولا مأتاه ، بتوقع قدوم زوجها الغائب فى كل لحظة ، وحينما تراه ، ترد إليها روحها ، وتخرج سعادتها من أعماق قلبها ، تعبر له من أقصر طريق عما تكنه جوارحها ويحمله قلبها ، ليعرف قيمة حياته ووجوده بجوارها :

"وجلست فى الشرفة تتطلع إلى الطريق ، وفى الليل كانت جالسة فى الصالة نائمة وعلى خديها الدموع ، بعد أن برحها الانتظار الطويل .. وصحت على حركته وهو يفتح الباب .. وجرت إليه وتعلقت بعنقه وارتمت على صدره وضغطت ، وأعدت مائدة العشاء .."

تريد الزوجة وتحلم بأن يكون زوجها شجاعا ، يعبر عن شعورها وعن خلجاتها وما تعجز هى عن فعله ، ولا تغفر له إن كان جبانا :

"وبدت غير منشرحة .. وعلا وجهها الامتعاض ..... فهو لم يحارب كما كانت ترغب ..! وتتمنى .. أين بسالته .. وأين شجاعته ..؟ هل انتقم لأطفال مدرسة بحر البقر .. وعمال أبى زعبل وسكان السويس .. والإسماعيلية وبور سعيد .. الآمنين ..؟ هل انتقم لهؤلاء ..؟

وبعد نصف الليل كانت بجواره على السرير .. فى قميص النوم .. نصف يقظة .. وكان هو قد استغرق فى النعاس وانكشف عنه الغطاء .. فأخذت تضمه عليه ، ولامست يدها شيئا غريبا تحت

"الفانلة" ورفعت الفانلة وكشفته .. فتبينت جرحا بليغا فى الكتف قد تغطى بالضمادات .. وربط باحكام . وضمته إليها فى عنف .. وجنون .."

==========

الحـــــارس

قصة محمود البدوى

غادرنا " منفلوط " فى اليوم التاسع من اكتوبر فى جو مشحون بالحرب فى كل مكان . وكانت الأنوار منطفئة فى المحطة ، وفى المدينة ، ولكن القمر كان طالعا ونوره يفرش على البيوت والمزارع وبساتين النخيل .

وكانت الريح رخاء ، والليل صحوا ، والرؤية واضحة إلى المدى البعيد ، ورغم الاظلام فى المحطة ، وفى البيوت ، ولكنا لم نسمع صوت قذائف على الاطلاق .

وكان الناس يقومون بأعمالهم العادية فى هدوء كأن الحرب لم تشتعل منذ ثلاثة أيام ، ولكن الفرحة كانت بادية على الوجوه ، وفى سلوك الأفراد وتعاملهم ، فقد هزتهم

موجة الانتصار وأطلقت العنان لمشاعرهم المحبوسة .

وكضابط أمن فى المنطقة فإنى أقرر أنه لم تقع منذ ثلاثة أيام حادثة واحدة سجلها دفتر الأحوال فى المركز .. سوى حادثة سقوط " لينا عازر " بين المزارع .. رفيقتى فى هذا السفر الليلى .. فى العربة الخلفية من قطار الركاب رقم ٧٧٧ ، فقد فاتنا الاكسبريس لخطىء فى التقدير . فكان لابد من السفر فى الليل ، فى مكان منفرد ، وبعيدا عن الركاب .. ووقع الاختيار على ديوان صغير مخصص للسيدات .. ويحتوى على كنبة جلدية واحدة ، ويقع فى نهاية صف الدواوين فى آخر عربة فى القطار .

وكانت العربة بأجمل صفاتها متهالكة ، ومفصلاتها تزعق ، وزجاج نوافذها نصف مكسور .. وعجلاتها تدوى على القضبان كالطاحون القديمة ..

ولكن الديوان الصغير الذى أجلست فيه " لينا " كان بابه صالحا للعمل .. والزجاج فى النافذة والباب كانا سليمين .

وكحارس لاتفوته ثغرة أخذت على ضوء القمر ، وضوء البطارية التى معى ، أدور بعينى فى هذا الجزء الخلفى من العربة بعد أن أودعت " لينا " فى داخل الديوان .. وشعرت بالراحة لأنى سأستريح من فضول الناس ، إذ لم يكن فى الدواوين الملاصقة لنا مباشرة ركاب على الاطلاق .. وكان وجودهم سيسبب لى مضايقات كثيرة ، لأن " لينا " لاتزال بملابسها العسكرية التى سقطت بها ..

وكنت قد أنزلت خشب النافذة عندما كان القطار واقفا فى المحطة ، فلما تحرك خالفت التعليمات ورفعته لأن الاظلام كان تاما فى القطار كله .. ورأيت ألا نختنق فى هذا الظلام وأن أدخل قليلا من ضوء القمر من خلال الزجاج .. لأراقب الأسيرة وأراها وترانى ..

وأخذت أتطلع فى الضوء الطبيعى إلى وجهها ، وكانت قد شربت دموعها واستفاقت من الفزع الذى أعقب السقوط .. واطمأنت على حياتها ، وعلى وجودها معى كحارس لها .. فقد عاملتها بالحسنى من أول لحظة .. ومنعت عنها سباب النساء ، ولعنة جنسها ، وغضب الجموع التى أحاطت بها ..

فإن شخصا يسقط فى المزارع وبين الفلاحين بعد أن كان يحلق ليرميهم بقنابل الدمار له فى نظرهم حكم واحد .. الموت .. وقد نجيتها من الموت .. وبسرعة نقلناها من المركز إلى القطار ، وأصبحت مسؤلا عنها وحدى حتى أصل بها إلى المكان المعين لنا . وحدث كل شىء بسرعة رهيبة حتى أننى لم استرد أنفاسى .

وكنت فى أشد حالات التعب إذ لم أنم منذ يومين ، وخشيت أن يغلبنى النعاس فتهرب ، كنت فى خوف موصول من حدوث ذلك .. ولهذا أخذت أفتح عينى جيدا .. وشعرت بأنى فى حاجة شديدة إلى فنجان من القهوة أو الشاى ، ولكن ساءنى أن القطار ليس به مقصف ثابت ولا متنقل كما نشاهد فى القطارات الأخرى .

وكانت " لينا " بجانبى من الداخل ، وكنت أرى جانب جيدها .. ورأسها المنحنى المستدير قليلا إلى النافذة ، وتبدو صامتة وحزينة ، ولا يبدو عليها التفكير فيما يدور بخلدى .

ولكن من الذى يستطيع أن يتبين من ملامح المرأة ماتبطن من خفايا نفسها ..

كانت ترتدى ثوبا أخضر من الكتان ويبدو ضاغطا فوق وركيها وبروز صدرها ..

ورجعت إليها انوثتها ، فأخذت تسوى شعرها ، وتصلح من ردائها العسكرى .. فعندما هوت وجرت لما طاردها الفلاحون تعثرت وسقطت على الأرض بين الزراعات المروية فاتسخت حلتها ، وعلق بها التراب والطين .. فخلعت سترتها وأخذت تنظفها .. وبدا لحمها من تحت القميص الأخضر متسخا كأن به آثارجرح ..

فسألتها :
ـ هل بجسمك رضوض ..؟
ـ أبدا .. التوى قدمى قليلا وأنا ساقطة ..
ـ سنعالج هذا عندما نصل ..
ـ نصل إلى أين ..؟
ـ نصل إلى مدينة جميلة .. وستجدين رفاقك هناك فى انتظارك ..

وبدا عليها السهوم .. ولعلها تذكرت ما فعلوه هم بالأسرى المصريين فى الحرب الماضية .

وسألتها :
ـ أى مدينة فى مصر كنت تودين تدميرها ..؟
فشحب وجهها :
ـ لم نخرج لندمر .. كانت طائراتنا استطلاعية ..
ـ لماذا سقطت ..؟
ـ أصيبت بقذيفة ..
ـ هل ولدت فى إسرائيل ..؟
ـ ولدت فى رومانيا ..

شاهدت فى مجلة أجنبية منذ اسبوع فقط صورة لأسرة رومانية تجلس فى حديقة بين الورود والرياحين ، أسرة وديعة مسالمة .. فلماذا تختلفون أنتم عن جميع أجناس البشر وتريدون تخريب العالم ..

ـ لقد قلت أن الطائرة استطلاعية وأنا لم أسبب الضرر لأحد ..
ـ بعد طائرة الاستطلاع .. تأتى طائرة القنابل ..
ـ انها الحرب ..
ـ أجل انها الحرب .. ولا سلام فى هذه الأرض مادمتم تشنون الحروب على ظهرها .. هذا هو رأيى ..

كان الحرز الذى وضعنا فيه أشياءها لا يزال بجانبى فألصقته بالمسند واتكأت عليه .. وابتعدت عنها حتى أصبحت قريبا من باب الديوان لأفسح لها مكانا لتنام ..

وقلت لها :

ـ نامى ساعة أو ساعتين .. فالرحلة طويلة ..
ـ إنى جائعة .. ولا أستطيع النوم وأنا جائعة ..

ورأيت أن أشترى لها طعاما فى المحطة التالية ، أو فى "ديروط" ..

وأخذ هواء الليل يترطب ، ومع سرعة القطار .. اشتد مرور الهواء ، فبدأت الأتربة تتطاير فى وجهينا كلما دخلنا فى المحطات الصغيرة .. فأغلقت زجاج النافذة ..

اقتربنا من " القوصية " .. وفكرت أن أجد فيها طعاما .. واشتريت الطعام الذى يكفينا .

ولما تحرك القطار سألتنى وهى تأكل :
ـ من الذى علمك العبرية .. بهذه الطلاقة ..؟
ـ كنت أسكن فى حارة عندنا اسمها حارة اليهود ..!

وافترت شفتاها عن ابتسامة باهتة ..
ولأول مرة أرى ابتسامة على وجهها ..
ـ ولهذا وقع عليك الاختيار لترافقنى ..؟
ـ أجل .. فقد كان هذا من سوء حظى ..
ـ لماذا .. اننى لم أسبب لك أية متاعب ..؟
ـ لقد طلبونى على عجل وأنا مريض .. ولم أذق للنوم طعما منذ يومين .. وقد أكون محموما ..
ـ لماذا لاتستريح الآن وتأخذ كفايتك من النوم ..
ورفعت بصرى إليها ولم أعقب ..

وتكورت هى بجانبى بعد أن تعشت ، واضعة رجليها تحت فخذيها .. وأغمضت عينيها .. وإن كنت على يقين بأنها تنام بإحدى عينيها فقط ، وتظل الثانية مفتوحة .. !

وفى محطة " ديروط " ناولتها زجاجة من العصير ، وكنت أود أن أشرب القهوة .. ولكنى لم أجدها فى داخل المحطة ..

وكان السكون شاملا ، والظلام تاما ، وحالة الحرب بادية هنا بالدرجة القصوى ، وكانت ترعة الابراهيمية على شمالنا .. تبدو مياهها هادئة .. وعلى الأفق الغربى كان القمر يلتهب وكان لون أخضر يضرب إلى السواد يغطى المزارع ، أما المدينة فكانت محتجبة فى الظلمة وساكنة ..

وساعدنا السكون الشامل على أن نسمع صوت الراديو ، وكان يذيع انتصارات الجيش المصرى على طول جبهة سيناء .

وقرأت "لينا" الانتصار على وجهى فامتعضت وبدا عليها الذبول لقد أطلق الراديو مشاعر كانت فى عداء صريح مع عقلها وتفكيرها .

كانت تتوقع انتصار جيشهم ولم تكن تتوقع هزيمة كهذه أبدا وأصيبت بخيبة أمل مرة .. وغدت سحنتها مخيفة ، ضاعت منها كل علائم الأنثى . وخفضت رأسها وراحت تنظر إلى أرضية العربة .. وجعلنى هذا أراقبها بحذر ولا تغفل عينى عنها لحظة .

وخطر فى ذهنى خاطر .. أن أحدا من رجال الأمن لم يفتشها فى المركز .. واستدعى لتفتيشها مدرسة فى المنطقة .. فتشتها فى غرفة مغلقة .. ولكن هل فتشتها هذه المدرسة كما يجب ..

ونظرت إليها وكانت لاتزال متجهمة وقلت بهدوء :

ـ قفى ..

ـ لماذا ..؟

ـ أريد تفتيشك ..

وارتعش بدنها ..

ـ لقد فتشت فى المركز .. والأشياء كلها معك فى الحرز ..

ـ ولكنى سأفتشك مرة أخرى ..

ـ تفضل ..

ووقفت وفتشتها بدقة متناهية ، وهى تنظر إلىّ بدلال ..

وعجبت وأنا أضع يدى على لحمها من كونى لم أشعر بأية عاطفة نحوها .. وهى رشيقة الجسم وتعد جميلة فى النساء .. كانت تقاطيع جسدها بارزة من خلال القماش الكتانى المشدود ، وكانت يداى تتحركان على تمثال من الشمع الجامد .. وربما كانت تتصور أننى أتلذذ من هذه الحركة لأنى فتشت الجيوب وقلبتها .. ولمست صدرها وفخذيها ، تحت القميص وفوقه ، ربما كانت تتصور أن فى الأمر متعة لأنها طالت .. ولكن إحساسى كرجل كان يغطيه دخان الحرب ويغلفه ، وكنت جامدا وأى ضعف من جانبى معناه ضياعى كرجل ..

وكانت هذه اللحظة هى سلاحها الوحيد الذى تحمله ضدى .. فلما رأت جمودى .. تحولت سحنتها فجأة من دلال الأنثى الناعم إلى سحنة نمرة .

وعادت وقد غلب عليها الارتباك والهزيمة معا فجلست ثم تكورت فى مكانها .. وبعد منتصف الليل وفى الساعات التى اعتاد أن ينام فيها الناس بقيت مستيقظا ، وفى أشد حالات الانتباه واليقظة وأصبحت أغالب النوم بصعوبة بالغة .. فقد كنت فى أشد حالات التعب والارهاق البدنى وأفتح عينى بصعوبة .. وأحدق بجانب دائما .. وأظل جالسا فى خط مستقيم .. لأنى اذا اضطجعت إلى الوراء سيغلبنى النعاس ، كان شعورى بالمسؤلية الضخمة مضاعفا .. ورغم الجهد النفسى الذى بذلته .. ولكن النعاس كان يغلبنى على فترات قصيرة جدا وأنا جالس وكنت أفتح عينى بقسوة بعد كل غفوة .. وأتلفت فأراها مكانها .. فأطمئن ..

ولكنى أعود للنوم .. وأحلم .. بأنها نزلت من القطار .. وتخطت القضبان وهربت وقدمت للمحاكمة ، وحكم على بالسجن ، ويحدث كل هذا سريعا .. ولكن بوضوح .. فى شريط الرؤية الذى يدور .. وصرخت .. وفتحت عينى فوجدتها واقفة .. تتطلع إلى النافذة ..

وقالت بلهجة حزينة .. لما وجدتنى أرفع رأسى :
ـ أريد أن أذهب إلى دورة المياه ..

وفتحت باب الديوان ، ودفعتها أمامى إلى الخلف فى

الـضـوء الـشاحب والقطـار يجـرى .. وكانـت دورة الميـاه ملاصقة لنـا تمامـا فلـم تتحـرك أكثـر مـن خطـوتين فـى هـذا الظلام ..

وفتحت لـها الباب ودخلت ، وقلت لـها بصوت آمر :
- دعى الباب نصف مفتوح ..

فلم ترد .. وتركت البـاب نـصف مفتـوح .. ووقفت نـصف دقيقـة فـى الظـلام ، أصـارع رغبـات لا قبـل لمثلـى بهـا .. ثـم حركت الأكرة وأغلقت عليها الباب ..

ووقفت أنـضح عرقـا .. ربمـا انتحرت أو القت بنفسها مـن النـافذة فماذا يكون مـصيرى .. وطـال مكوثـها بالـداخل .. وأنـا فـى الخـارج فـى صـراع ورعـب ، ثـم خرجـت فوجـدتنى علـى الباب فحدقت فى وجهى فى الظلام ، ثـم مضت لا تلـوى علـى شـىء .. وجلـست فـى مكانـهـا وقـد مـدت سـاقيها والـصقت ظهرهـا بالكنبـة .. وتفرست فـى وجهـها الحـزين وكـل كيانـها المرتجف .. كانت خائرة القوى .. أتخاف من المجهول .. بعد أن ضـاعت الأحـلام .. وأصـبحت تواجـه الحقيقـة المـرة .. واسترخيت مثلها .. وأحسست دون أن أنظر من نـافذة القطار .. أننـا تجاوزنـا محطـة المنيـا .. وسـمالوط .. وبنـى مـزار .. وأننا نقترب مـن " مغاغـة " فأنـا أعرف جو هذه المحطـات دون أن أقرأ أسماءها .. من كثرة أسفارى ..

وتوقف القطار على محطة صغيرة وطال وقوفه .. وكان الظلام يغطى كل مـا حولنـا والـسكون شـاملا ، ونبـاح الكـلاب هـو الـشىء الوحيـد فـى هـذه البقعـة الـذى يـدل علـى وجـود

الحياة .

***

وأحسست بالقطار وهو يسير .. وملت عليها فوجدت جلستها غير مريحة فعدلت وضع رجليها ، وكانت مستغرقة فى النوم ، فألقيت بجسمى إلى الوراء .. وأصبح دوى العجلات الرتيب .. كأنه نغم الأحلام ..

ولا أدرى أنمت أم كنت صاحيا .. فإن الفترة فى تقديرى لم تكن تتجاوز دقيقة واحدة .. فقد فتحت عينى على حركة وقوف القطار فلم أجدها فى مكانها ..

وارتعدت وقد مستنى فجأة حالة رعب قاتل .. ولكنى لم أفقد عقلى .. وتحسست بيدى الحرز فألفيته فى مكانه ، فتناولته بسرعة واندفعت من الباب ، وكانت هى قد تركته مفتوحا خشية أن حركة إغلاقه ستوقظنى ..

وفى المحطة الصغيرة لمحتها وهى تجرى وتتخطى القضبان مسرعة فى اتجاه المزارع ..

وأخذت أجرى وراءها .. وقد تركز العالم كله فى بصرى على ردائها العسكرى ..

كانت تجرى بأقصى سرعتها فى طريق زراعى مترب بجانب زراعات البرسيم والخضر وفهمت قصدها فقد لمحت حقل ذرة .. وكان فى نظرها نعم المكان للاختفاء .

وجرت واندفعت إلى الحقل وغابت عن بصرى وأخفاها الحقل والظلام معا ..

***

ويصعب على أن أصف إحساساتى فى تلك اللحظة ، فالشعور الذى انتابنى إذ ذاك لا يمكن وصفه . لا يمكن تسميته بالخوف ولا بالقلق ولا بالعار على ضابط مصرى هربت منه فتاة إسرائيلية ، هربت منه أسيرة وهو مسلح وهى عزلاء .. لابد أنها أسرته بمفاتنها فى الليل والظلام والوحدة فضعف واستسلم لها واستجاب لرغبتها .. وأطلقها تعيث فى الأرض فسادا ، أطلق جاسوسة تتجسس فى البلاد ونحن فى حالة حرب .

والمحاكمة العسكرية .. والسجن والعار .. دارت كل هذه الخواطر فى رأسى .. وأنا أقف على رأس الغيط .. مسمرا ملتاعا .. واجهت ظاهرة غريبة وأصبح الزمان والمكان لاوجود لهما بالنسبة لى ..

كان معى جهاز إرسال لاسلكى ، ولكننى لم استعمله ولم أطلب الاستعانة ولا النجدة .. خشية الفضيحة .

ووقفت وحدى كأنما أنا فى الدنيا بأجمعها الذى يواجه وحده تحدى القدر ..

ودخلت الحقل أتخطى " الحوض " والمجراة .. إلى

أين تمضى هذه الملعونة فى العتمة ..

ولم أوغل كثيرا .. ورفعت المسدس وأطلقت ثلاث طلقات إلى أعلى وطلقة إلى مستوى رأسى وسمعت بعد هذا صرخة .. وصوتها وهى تطلب منى بالعبرية أن أكف عن اطلاق النار ..

ووجدتها مبطوحة على بطنها فى قناة جافة وواضعة ذراعيها ويديها على رأسها ..

وأوثقت يديها من الخلف .. وخرجت بها .
كان القمر قد غاب منذ قليل وراء أشجار النخيل العالية وباتت القرية غارقة فى عتمة رمادية شهباء .. وليس غير رؤوس الأشجار بادية فى الظلمة ..

ونسيت القطار .. وخيل إلىّ أنه قد مر على مجيئى إلى هذا المكان دهر كامل .

وتطلعت إلى النجوم .. وهى تسير أمامى .. وتخطينا مرتفعات السباخ التى تجاور الحقول وأصبحنا نسير فى حذاء الترعة إلى المحطة .

***

كانت نحيلة بادية الطول شاحبة اللون تمشى بخطوات مترنحة من فرط التعب .. ورأسها الصغير يتمايل على عنق طويلة يغطيها من الخلف شعر أشقر مرسل قد تلطخ من

عنـاء الطريـق .. وعيناهـا تحـدقان فـى وجهـى دومـا بنظـرة فائضة بالحقد .

وفـى المحطـة الـصغيرة فككـت وثاقهـا وانفجـرت تعـول بالبكـاء .. وقـد تكـورت ووضـعت ذراعيهـا حـول فخـذيها .. وتطلعت بعينيها إلى القضبان .. فى حزن واستسلام ..

ولقـد أدركـت بجـلاء ، وأنـا أحـدق فـى هـذا الكـائن ، أن هناك من يمتص الحياة من هذا الجسد البشرى ..

أخذت أتفرس فى ملامحها دون حركـة وأنـا واقـع تحت وطأة المشاعر التى كانت تفيض بها نفسى .. وأدركت فى تلـك اللحظـة الكثيـر ممـا تفعلـه إسـرائيل برجالهـا ونـسائها ، فهذه التى ولدت لتكون زوجـة أو مدرسـة أو طبيبة أو عاملة نافعة لجنسها .. حولوها إلى شيطانة للدمار".

كانــت المــشاهد التــى حــولى كلهــا ســاكنة .. القريــة .. والمحطة .. والبساتين المزهرة .

وكنت أرى قلوع المراكب فى النهر تبدو وأشرعتها من بعيد فـى الظلمـة كـالأعلام وتـسير فـى طريقهـا فـى سلام دون احساس بالحرب .

أما الترعة عن يسارى فكانـت ساكنة تمامـا .. فـلا حركـة فيها تدل على الحياة ..

وفى الجهة الأمامية من المحطة الصغيرة يجلس الغضب

والحب يتصارعان حب الحياة .. وغضب الثأر ..

ورأيت فى وجهها أطفال مدرسة بحر البقر .. وعمال أبو زعبل .. وسكان بور سعيد .. والإسماعيلية .. والسويس الآمنين فى بيوتهم ، كل هؤلاء كانوا مدنيين عزل .. لم يطلقوا رصاصة ولم يصوبوا مدفعا فى صدر أحد .. كانوا يعيشون فى سلام للحياة .. فقصفوا أعمارهم بقنابل الدمار .. إن الحقد يعشعش ويبيض فى قلوبهم ..

كانت أمامى بكل حقدها وما فى نفسها من خساسة .. ولكن ماذا أفعل وأنا الرجل المسلح أمام امرأة قد جردتها من السلاح ..

وسمعت صفير القطار من بعيد .. وأخذت أستعد لجولة أخرى معها فى هذا الليل الساكن ..

==========

نشرت القصة بمجلة الهلال المصرية فى يناير ١٩٧٤ وأعيد نشرها فى كتاب قصص من الصعيد من اعداد وتقديم على عبد اللطيف وليلى محمود البدوى ـ مكتبة مصر ٢٠٠٢

==========

الرؤية الفلسفية:

يقدم الراوى فى هذه القصة ، الصراع الأزلى الموجود فى هذه الحياة منذ بدء الخليقة ، الصراع بين الخير والشر ، فالشر دفين فى النفس منذ عهد

قابيل وهابيل ، وسيبقى الصراع أبديا إلى قيام الساعة ، وتلك إرادة الله وحكمته .

ففى الحياة أناس أكثر شرا من الأبالسة وألعن من الشياطين ، فبدلا من أن يجملوا الحياة ويجعلونها أكثر نضارة يتحركون بكل ضراوة ويمزقونها ، وما دام الخير موجودا فالدنيا باقية ، وبالخير نقاوم كل عناصر الشر بكل ما أعطانا الله من قوة حتى نقضى عليه مهما كانت ضراوته .

فالبدوى يصور لنا النوازع الخيرة والشريرة فى داخل النفس البشرية ، بين شخصيتين ، شخصية خيرة للضابط المصرى صافى النفس والقلب والذى لم تلوث طباعه وأخلاقه شرور الحياة ، والذى يملك القدرة على السيطرة على أعصابه ، كدلالة طيبة على الطيبة ، والتمسك بالقيم ، وشخصية الأسيرة ، التى تمثل روح الشر الخبيثة التى تجرى فى دمها ، وتمثل الجبروت والإجرام ، والتى جردها المجتمع اليهودى من إنسانيتها ، وسلب نفسها وقلبها وأعادها إلى وحشيتها الأولى ، وجاءت تلقى قنابل الخراب والدمار من السماء ، لتمزق حياة شعب فى أشد لحظات أمنه ، شعب يحب السلام والحرية ، ولا يعرف روح الشر التى تحركهم .

وقد جعل الراوى بطل قصته بطلا إنسانيا ، وحافظ على روحه الطيبة وسماحته المتأصلة فى داخل نفسه ، ولم يجعله عرضة للأذى ، رغم ما وقع فيه من خطأ .

يقدم الراوى من خلال علاقة الحارس بالأسيرة نموذجا للخير المطلق فى الإنسان .. فيقول :

"عاملتها بالحسنى من أول لحظة .. ومنعت عنها سباب النساء ، ولعنة جنسها ، وغضب الجموع التى أحاطت بها . فإن شخصا يسقط فى المزارع وبين الفلاحين بعد أن كان يحلق ليرميهم بقنابل الدمار له فى نظرهم حكم واحد .. الموت .. وقد نجيتها ."

"كان الحرز الذى وضعنا فيه أشياءها لا يزال بجانبى فألصقته بالمسند واتكأت عليه .. وابتعدت عنها حتى أصبحت قريبا من باب الديوان لأفسح لها مكانا لتنام .."

وحينما قالت له الأسيرة أنها جائعة .. يقول الراوى :

"ورأيت أن أشترى لها طعاما فى المحطة التالية ، أو فى "ديروط" ..... واشتريت الطعام الذى يكفينا".

"وفى محطة "ديروط" ناولتها زجاجة من العصير ، وكنت أود أن أشرب القهوة .. ولكنى لم أجدها فى داخل المحطة .."

وتفرست فى وجهها الحزين وكل كيانها المرتجف .. كانت خائرة القوى .. أتخاف من المجهول .. بعد أن ضاعت الأحلام .. وأصبحت تواجه الحقيقة المرة .."

"وأحسست بالقطار وهو يسير .. وملت عليها فوجدت جلستها غير مريحة فعدلت وضع رجليها ، وكانت مستغرقة فى النوم".

"أدركت بجلاء ، وأنا أحدق فى هذا الكائن ، أن هناك من يمتص الحياة من هذا الجسد البشرى .. أخذت أتفرس فى ملامحها دون حركة وأنا واقع تحت وطأة المشاعر التى كانت تفيض بها

نفسى .. وأدركت فى تلك اللحظة الكثير مما تفعله إسرائيل برجالها ونسائها ، فهذه التى ولدت لتكون زوجة أو مدرسة أو طبيبة أو عاملة نافعة لجنسها .. حولوها إلى شيطانة للدمار".

"كانت أمامى بكل حقدها وما فى نفسها من خساسة .. ولكن ماذا أفعل وأنا الرجل المسلح أمام امرأة قد جردتها من السلاح".

ويقدم الراوى فى الفقرات التالية صور من روح الشر الخبيثة ، التى تجرى فى دم الأسيرة ، والتى تمثل الجبروت والإجرام .. فيقول :

"وبدا عليها السهوم ولعلها تذكرت ما فعلوه هم بالأسرى المصريين فى الحرب الماضية".

"وساعدنا السكون الشامل على أن نسمع صوت الراديو ، وكان يذيع انتصارات الجيش المصرى على طول جبهة سيناء . وقرأت "لينا" الانتصار على وجهى فامتعضت وبدا عليها الذبول لقد أطلق الراديو مشاعر كانت فى عداء صريح مع عقلها وتفكيرها .. كانت تتوقع انتصار جيشهم ولم تكن تتوقع هزيمة كهذه أبدا وأصيبت بخيبة أمل مرة .. وغدت سحنتها مخيفة ، ضاعت منها كل علائم الأنثى".

"ورأيت فى وجهها أطفال مدرسة بحر البقر .. وعمال أبو زعبل .. وسكان بور سعيد .. والإسماعيلية .. والسويس الآمنين فى بيوتهم ، كل هؤلاء كانوا مدنيين عزل .. لم يطلقوا رصاصة ولم يصوبوا مدفعا فى صدر أحد .. كانوا يعيشون فى سلام للحياة .. فقصفوا أعمارهم بقنابل الدمار .. إن الحقد يعشعش ويبيض فى قلوبهم ..".

ويبين البدوى الصراع بين الخير والشر إذا اجتمعا فى مكان واحد ، وخوف كل منهما من الآخر ، والعلاقة المتوترة بين الحارس والأسيرة .. فى الفقرات الآتية :

"وكحارس لاتفوته ثغرة أخذت على ضوء القمر ، وضوء البطارية التى معى ، أدور بعينى فى هذا الجزء الخلفى من العربة ".

"وأصبحت مسؤلا عنها وحدى حتى أصل بها إلى المكان المعين لنا . وحدث كل شىء بسرعة رهيبة حتى أننى لم استرد أنفاسى وكنت فى أشد حالات التعب إذ لم أنم منذ يومين ، وخشيت أن يغلبنى النعاس فتهرب ، كنت فى خوف موصول من حدوث ذلك .. ولهذا أخذت أفتح عينى جيدا .."

"من الذى يستطيع أن يتبين من ملامح المرأة ما تبطن من خفايا نفسها .."

"خفضت رأسها وراحت تنظر إلى أرضية العربة .. وجعلنى هذا أراقبها بحذر ولا تغفل عينى عنها لحظة".

"خطر فى ذهنى خاطر .. أن أحدا من رجال الأمن لم يفتشها فى المركز .. واستدعى لتفتيشها مدرسة فى المنطقة .. فتشتها فى غرفة مغلقة .. ولكن هل فتشتها هذه المدرسة كما يجب ..... ووقفت وفتشتها بدقة متناهية ".

"وبعد منتصف الليل وفى الساعات التى اعتاد أن ينام فيها

الناس بقيت مستيقظا ، وفى أشد حالات الانتباه واليقظة وأصبحت أغالب النوم بصعوبة بالغة .. فقد كنت فى أشد حالات التعب والارهاق البدنى وأفتح عينى بصعوبة .. وأحدق بجانب دائما .. وأظل جالسا فى خط مستقيم .. لأنى اذا اضطجعت إلى الوراء سيغلبنى النعاس ، كان شعورى بالمسؤلية الضخمة مضاعفا .. ورغم الجهد النفسى الذى بذلته .. ولكن النعاس كان يغلبنى على فترات قصيرة جدا وأنا جالس وكنت أفتح عينى بقسوة بعد كل غفوة .. وأتلفت فأراها مكانها .. فأطمئن ..

ولكنى أعود للنوم .. وأحلم .. بأنها نزلت من القطار .. وتخطت القضبان وهربت وقدمت للمحاكمة ، وحكم على بالسجن ، ويحدث كل هذا سريعا .. ولكن بوضوح .. فى شريط الرؤية الذى يدور .. وصرخت .."

ويرسم البدوى صورة بصريه للأسيرة أثناء قيامه بتفتيشها ، وحالته النفسية أثناءها ، وما صوره لها خيالها وسذاجتها ، من أنها تستطيع أن تسيطر عليه ، وكأن جسدها شفيعا لها للهرب .. ولا يعدو خيالها هذا من أن يكون أوهام تسبح فى عقل مرعوب .. فيقول :

"ووقفت وفتشتها بدقة متناهية ، وهى تنظر إلى بدلال .. وعجبت وأنا أضع يدى على لحمها من كونى لم أشعر بأية عاطفة نحوها .. وهى رشيقة الجسم وتعد جميلة فى النساء .. كانت تقاطيع جسدها بارزة من خلال القماش الكتانى المشدود ، وكأن يداى تتحركان على تمثال من الشمع الجامد .. وربما كانت تتصور أننى أتلذذ من هذه الحركة لأنى فتشت الجيوب وقلبتها .. ولمست صدرها وفخذيها ، تحت القميص وفوقه . ربما كانت تتصور أن

فى الأمر متعة لأنها طالت .. ولكن إحساسى كرجل كان يغطيه دخان الحرب ويغلفه ، وكنت جامدا وأى ضعف من جانبى معناه ضياعى كرجل ..

وكانت هذه اللحظة هى سلاحها الوحيد الذى تحمله ضدى .. فلما رأت جمودى .. تحولت سحنتها فجأة من دلال الأنثى الناعم إلى سحنة نمرة .."

ولم تيأس الأسيرة فحاولت مرة ثانية ، متعمدة ، واستخدمت ذكاءها وقوة أعصابها لإيقاع الحارس فى الفخ الذى نصبته له .. وقد نسيت أن شرف الإنسان هو أثمن شىء يحوزه فى كل العصور .. ويقول الراوى :

"قالت بلهجة حزينة .. لما وجدتنى أرفع رأسى :
- أريدأن أذهب الى دورة المياه..

وفتحت باب الديوان ، ودفعتها أمامى إلى الخلف فى الضوء الشاحب والقطار يجرى .. وكانت دورة المياه ملاصقة لنا تماما فلم تتحرك أكثر من خطوتين فى هذا الظلام ..

وفتحت لها الباب ودخلت ، وقلت لها بصوت آمر :
-- دعى الباب نصف مفتوح ..

فلم ترد .. وتركت الباب نصف مفتوح .. ووقفت نصف دقيقة فى الظلام ، أصارع رغبات لا قبل لمثلى بها .. ثم حركت الأكرة وأغلقت عليها الباب ..

ووقفت أنضح عرقا .. وربما انتحرت أو القت بنفسها من النافذة فماذا يكون مصيرى .. وطال مكوثها بالداخل .. وأنا فى الخارج فى صراع ورعب ، ثم خرجت فوجدتنى على الباب فحدقت فى وجهى فى الظلام ، ثم مضت لا تلوى على شىء ".

ويبين حاجة النفس البشرية إلى الجمال ، وبغرس الورود مكان الشوك ، للاستمتاع بالطبيعة ومباهجها، وما تحدثه من أثر فى داخل الإنسان ، والسعى وراء الخير والجمال ، وليس للتخريب والتدمير .. فيقول :

"شاهدت فى مجلة أجنبية منذ اسبوع فقط صورة لأسرة رومانية تجلس فى حديقة بين الورود والرياحين ، أسرة وديعة مسالمة .. فلماذا تختلفون أنتم عن جميع أجناس البشر وتريدون تخريب العالم"

ولم ينس البدوى أن يرسم بقلمه صورة بصرية للأسيرة بعد سقوطها بالمظلة من الطائرة .. فيقول :

"ورجعت إليها انوثتها ، فأخذت تسوى شعرها ، وتصلح من ردائها العسكرى .. فعندما هوت وجرت لما طاردها الفلاحون تعثرت وسقطت على الأرض بين الزراعات المروية فاتسخت حلتها ، وعلق بها التراب والطين .. فخلعت سترتها وأخذت تنظفها .. وبدا لحمها من تحت القميص الأخضر متسخا كأن به آثار جرح .."

ويبين البدوى حلاوة الروح وحب الحياة بعد أن يقع الشريرفى الفخ ، ويحس بأن أمامه قوة أكبر منه لا قبل له بردها أو صدها .. فيقول :

"فتحت عينى على حركة وقوف القطار فلم أجدها فى مكانها وارتعدت وقد مستنى فجأة حالة رعب قاتل .. ولكنى لم أفقد عقلى .. وتحسست بيدى الحرز فألفيته فى مكانه ، فتناولته بسرعة واندفعت من الباب ، وكانت هى قد تركته مفتوحا خشية أن حركة إغلاقه ستوقظنى ..... كانت تجرى بأقصى سرعتها فى طريق زراعى مترب بجانب زراعات البرسيم والخضر وفهمت قصدها فقد لمحت حقل ذرة .. وكان فى نظرها نعم المكان للاختفاء .. وجرت واندفعت إلى الحقل وغابت عن بصرى وأخفاها الحقل والظلام معا".

وقد حافظ البدوى على الروح الطيبة للحارس وسماحته ، فلم يجعله عرضة للأذى رغم ما وقع فيه من خطأ ، حينما غفلت عينيه وهربت الأسيرة .. فيقول :

"وجرت واندفعت إلى الحقل ، وغابت عن بصرى ، وأخفاها الحقل والظلام معا .. وصعب على أن أصف إحساساتى فى تلك اللحظة ، فالشعور الذى انتابنى إذ ذاك لا يمكن وصفه . لا يمكن تسميته بالخوف ولا بالقلق ولا بالعار على ضابط مصرى هربت منه فتاة إسرائيلية ، هربت منه أسيرة وهو مسلح وهى عزلاء .. لابد أنها أسرته بمفاتنها فى الليل والظلام والوحدة فضعف واستسلم لها واستجاب لرغبتها .. وأطلقها تعيث فى الأرض فسادا ، أطلق جاسوسة تتجسس فى البلاد ونحن فى حالة حرب .

والمحاكمة العسكرية .. والسجن والعار .. دارت كل هذه الخواطر فى رأسى .. وأنا أقف على رأس الغيط .. مسمرا ملتاعا .. واجهت ظاهرة غريبة وأصبح الزمان والمكان لاوجود لهما بالنسبة لى ..

كان معى جهاز إرسال لاسلكى ، ولكننى لم استعمله ولم أطلب الاستعانة ولا النجدة .. خشية الفضيحة .

ووقفت وحدى كأنما أنا فى الدنيا بأجمعها الذى يواجه وحده تحدى القدر .. ودخلت الحقل اتخطى "الحوض" والمجراة .. إلى أين تمضى هذه الملعونة فى العتمة ..

ولم أوغل كثيرا .. ورفعت المسدس وأطلقت ثلاث طلقات إلى أعلى وطلقة إلى مستوى رأسى وسمعت بعد هذا صرخة .. وصوتها وهى تطلب منى بالعبرية أن أكف عن إطلاق النار .. ووجدتها مبطوحة على بطنها فى قناة جافة وواضعة ذراعيها ويديها على رأسها .. وأوثقت يديها من الخلف .. وخرجت بها ."

" وسمعت صفير القطار من بعيد .. وأخذت أستعد لجولة أخرى معها فى هذا الليل الساكن ".

==========

المراجع من قصص محمود البدوى عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

١- الحارس ... نشرت بمجلة الهلال يناير ١٩٧٤
وأعيد نشرها بمجموعة الظرف المغلق

٢ـ الرسـالة ... نشرت بمجـلة الثقـافة ينـاير ١٩٧٤
وأعيد نشرها بمجموعة عودة الابن الضال

٣ـ القـطار الانسيابى ... نشرت بمجلة الثقـافة نوفمـبر ١٩٧٤
وأعيد نشرها بمجموعة عودة الابن الضال

٤ـ الزورق المقـلوب ... نشرت بمجـلة الثـقافة ديسمبر ١٩٧٦
وأعيد نشرها بمجموعة صورة فى الجدار

٥ـ بائـع العطـور ... نشرت بمجـلة الثـقافة يوليـو ١٩٧٨
وأعيد نشرها بمجموعة الظرف المغلق

٦ـ الانسـان ... نشرت بصحيـفة مـايو ١٥|٣|١٩٨٢
وأعيد نشرها بمجموعة قصص قصيرة

---

www.fiseb.com

www.fiseb.net